ملخص خطبة الجمعة 2023/6/9م

بعد أن ذكر حضرته في الخطبة السابقة شيء من أحوال ما بعد الهجرة، وأسباب غزوة بدر، وما قام به النبي ρ من إجراءات لتصدي مكايد كفار مكة وخططهم. قدم حضرته هذه الجمعة ذكرًا لبعض **السرايا والغزوات التي حدثت قبل معركة بدر**، ثم بعض استعدادات كفار مكة للحرب.

سرية حمزة، وهي أول سرية أرسلها رسول الله ρ، وتسمى سرية سيف البحر أيضا، كان لواؤها أبيض، وكان الذي حمله هو أبو مرثد الغنوي τ. لقد أرسلها النبي ρ في شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة وأمّر عليها عمّه حمزة بن عبد المطلب ومعه ثلاثون رجلاً، كلهم من المهاجرين.

بلغ هؤلاء سيف البحر الأحمر من ناحية العيص، فالتقوا بِعِير قريش التي جاءت من الشام وعلى رأسها أبو جهل. التقى الفريقان حتى اصطفوا للقتال، وكادت الحرب أن تنشب بينهم، ولكن رئيس القبيلة توسط، حتى حجز بينهم ولم يحصل قتال ورجع الفريقان.

ثم كانت سرية عبيدة بن الحارث. لقد أرسل النبي ρ مع عبيدة بن الحارث ستين رجلا من المهاجرين إلى ثنية المرة، فلقي عبيدة بن الحارث أبا سفيان بن حرب وهو في مائتين من أصحابه، وكان بينهم الرمي ولم يصطفوا للقتال. لقد رمى ذلك اليوم سعد ابن أبي وقاص أول سهم في سبيل الله، ثم انصرف الفريقان على حاميتهم.

ثم كانت سرية سعد بن أبي وقاص الذي أرسله رسول الله ρ في السنة الأولى من الهجرة أو الثانية عند البعض، في عشرين رجلاً، وعهد إليه أن لا يجاوز الخرّار. وكانوا يهدفون أن يعترضوا لعير قريش التجارية التي كانت تمر به. ولكن عندما وصلت هذه الكتيبة إلى الخرار، وجدوا أن القافلة مرت بالأمس، فانصرفوا دون أن تتم أية مواجهة.

ثم كانت غزوة وَدَّان أو الأبوَاء. توجه النبي ρ مع ستين أو سبعين من المهاجرين إلى وَدَّان أو الأبوَاء في صفر سنة 2 هـ. ويرى المؤرخ ابن سعد أنها كانت أول غزوة خاضها النبي ρ بنفسه، لاعتراض عير قريش التجارية، إلا أنها كانت قد خرجت من هناك قبل وصوله ρ إليه. لقد عقد ρ المصالحة وحلفا مع مخشي الضمري على أن بني ضمرة لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عليه عدوا. لقد بقي ρ لخمسة عشر يومًا خارج المدينة جراء هذا السفر.

غَزْوَةُ بَواط. لقد استخلف النبي ρ سعد بن معاذ على المدينة وخرج في شهر ربيع الأول سنة 2 هـ. مع مئتين من صحابته، وذلك لاعتراض قافلة تجارية قرشية. إلا أنه لم تتم بينهم المواجهة فرجع النبي ρ إلى المدينة المنورة.

غزْوَةُ العُشَيرَ. علم النبي ρ أن قافلة تجارية قرشية خرجت من مكة، فخرج رسول الله ρ مع مئة وخمسين راكب، فلما بلغ العشيرة علم أن عير قريش اجتاز هذا المكان قبل وصوله إليه ببضعة أيام. أقام هناك حضرته ρ بضعة أيام وأبرم عقد الصلح مع حلفائه من بني مدلج وبني ضمرة، ثم عاد إلى المدينة.

غزوة بدر الأولى: ولم تمض عشرة أيام على عودة النبي ρ من غزوة العشيرة إلى المدينة إذ أغار كرز بن جابر على سرح المدينة، فأمّر النبي ρ على المدينة زيدا بن حارثة وخرج في طلبه مع جماعة من المهاجرين فوصل إلى وادي سفوانَ قرب بدر ولكن كان كرزٌ أسرع ولم يلحقه النبي ρ. هذه هي غزوة بدر الأولى.

ثم كانت سرية عبد الله بن جحش τ في النخلة وهي واد قرب مكة، أمَّر رسول الله ρ عبد الله بن جحش على ثمانية من المهاجرين في رجب وأرسله، وكتب له رسالة مختومة وقال له أن يفتحها بعد قطع مسافة يومين ويعملَ بحسب ما ورد فيها من توجيهات، فلما قرأ سيدنا عبد الله بن جحش تلك الرسالة قال: علي السمع والطاعة، ثم قال لأصحابه: لقد أمرني النبي ρ أن أتوجه إلى النخلة وأستطلع أحوال قريش وأُطلع النبي ρ عليها، ونهاني عن أن أُجبر أحدكم على السير معي، وانطلقوا كلهم إلى الحجاز. في الطريق ضاع بعير سيدنا سعد بن أبي وقاص وسيدنا عتبة بن غزوان، فتخلفا عن القافلة بحثا عنه أما عبد الله بن جحش فقد وصل إلى النخلة برفقة بقية رفقائه. فمرت بها قافلة صغيرة لقريش ومعها بضاعة قريش من الأعناب والجلود للتجارة، فاتفقوا على أن يهاجموا تلك القافلة. أطلق سيدنا واقد بن عبد الله التميمي سهما على عمرو الحضرمى فقضى عليه، وأسر المسلمون اثنين منهم وفرَّ الرابع. ثم عاد سيدنا عبد الله بن جحش إلى النبي ρ مع الجمال والأسيرين، قال لهم ρ: لم آذنْ لكم بالقتال في الشهر الحرام، وأبقى الجمال والأسيرين عنده ورفض أن يأخذ منهم شيئا. نزل الوحي التالي في القرآن الكريم مُطَمْئِنا المسلمين: [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا]..

وصل أناس من الكفار إلى المدينة يطالبونه بإطلاق سراح الأسيرينِ الكافرين، رفض ρ فكّ الأسيرينِ وقال لن أطلق سراحهما إلا بعد وصول صاحبيّ إلى المدينة. ولما وصل سعد وعتبة إلى المدينة بسلام خلى سبيل الأسيرين الكافرين مقابل الفدية.

ثم هناك غزوة بدر الكبرى التي قد سُميت في القرآن الكريم يوم الفرقان. بلغ النبيَّ ρ أن أبا سفيان قادم من الشام مع قافلة تجارية لقريش، تضم مئة جمل، وقد استثمرت فيها قريش أموالا طائلة، وكانت في هذه القافلة أربعون شخصا. وهي نفس القافلة التي كان النبي ρ قد خرج للتصدي لها من قبل أيضا ووصل لهذا الغرض إلى مكان يدعى العشيرة، ولكن القافلة كانت قد سارت من هنالك إلى الشام قبل وصوله. خرج النبي ρ لهذه المعركة في جمادى الأولى أو جمادى الآخرة من العام الثاني الهجري. عندما بلغه صلى الله عليه وسلم أنها راجعة من الشام دعا المسلمين للخروج معه للقائها.

وقد قال حضرة مرزا بشير أحمد هذا الموضوع مفصلا في كتابه "سيرة خاتم النبيين" فقال: ليس في خروج المسلمين للتصدي لتلك القافلة التجارية مدعاة للاعتراض أبدا وذلك للأسباب التالية:

الأول: زعماء قريش كانوا ينوون استخدام أرباح تجارة هذه القافلة التجارية في قتال المسلمين.

والثاني: كان إيقاف القوافل التجارية لقريش ضروريا أيضا لأنها كانت تخرج متسلحة عادة، وكان المسلمون مهددين بالخطر من قبلها دوما.

وثالثا: حيثما مرت هذه القوافل أغرت قبائل العرب ضد المسلمين.

والرابع: لإجبار قريش على الصلح وإحلال الأمن والسلام.

يقال أيضا إن شخصا لقي أبا سفيان وأخبره أن النبي ρ كان عازما منذ البداية على سدّ طريق القافلة، وأنه تركه ρ في الطريق ينتظر عودة القافلة. فذُعر أبو سفيان بشدة بسماع هذا الخبر، فاستأجر ضمضمَ بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يخبرهم أن محمدا قد خرج مع أصحابه للهجوم على قافلتكم. فانطلق ضمضم مسرعا. عندما وصل رسولُ أبي سفيان إلى مكة بدأ يصرخ: يا أهل مكة إن محمدا (ρ) قد خرج مع أصحابه للهجوم على قافلتكم، فأنقذوها.

وَقَدْ رَأَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطّلِب، قَبْلَ قُدُومِ ضَمْضَمٍ مَكّةَ بِثَلَاثِ لَيَالٍ رُؤْيَا أَفْزَعَتْهَا.: أن رَاكِبًا أَقْبَلَ وصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَلَا انْفِرُوا يَا لَغُدُرَ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثٍ ثُمّ أَخَذَ صَخْرَةً فَأَرْسَلَهَا. فَأَقْبَلَتْ تَهْوِي، حَتّى إذَا كَانَتْ بِأَسْفَلِ الْجَبَلِ ارْفَضّتْ فَمَا بَقِيَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِ مَكّةَ وَلَا دَارٌ إلّا دَخَلَتْهَا مِنْهَا فَلِقَةٌ.